ما بعد الصهيونية

After Zionism

المؤلف: كاظم علي مهدي
Kazim Ali Mahdi

عرض: بيان الشيخ - Reviewed by Bayan Alshaikh

ابتدأ الكاتب كاظم مهدي الفصل الأول من كتابه: (ما بعد الصهيونية) الذي نشره مركز دراسات الوحدة العربية سنة 2016، ويقع في 160 صفحة- بشرح الإطار المفاهيمي لدراسة الصهيونية وما بعدها، فناقش أولًا مفهوم (الصهيونية)، فقدّم العديد من التعريفات لمفهوم الصهيونية التي ذُكرت في الموسوعات والمعاجم، والتي عرّفها الكثير من المُفكرين... وأخذ الكاتب بتعريف وصفه بالشمولية والموضوعية لنديم عيسى الجابري، وهو أنها: "حركة سياسية علمانية نشأت في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، بقصد إيجاد حل للمسألة اليهودية، عن طريق تأسيس دولة يهودية قومية عصرية في أيّة بقعة من الأرض، وحبذا لو كانت فلسطين"، كما استعرض أهم التيارات الصهيونية.

ثم ناقش ثانيًا مفهوم (ما بعد الصهيونية)، فعزا نشأة تيار (ما بعد الصهيونية) إلى رؤية معظم الباحثين في إسرائيل أن من أهم أسباب أزمة النظام السياسي ضعف الأساس الأيديولوجي في توجيه السلوك الجماعي والفردي، فالصهيونية فقدت الكثير من فاعليتها وأهميتها في معالجة القضايا المهمّة التي واجهها المجتمع داخليًّا وخارجيًّا، فالتوليفات التي قامت عليها الصهيونية بين متناقضات كثيرة: (الخصوصية القومية، العالمية، التقليد، التحديث، الدين، العلمانية) لم تستطع أن تصمد بعد تحقيق النجاحات في العقدين الأولين من قيام الدولة، ودخلت إسرائيل في السنوات الأخيرة مرحلة ما بعد الأيديولوجيا، التي طغت فيها المصالح والقيم الخاصة والفردية على قيم الجماعة بأكملها. وبيّن المؤلف اتجاهات متباينة بالنسبة لولادة هذا التيار، فمنهم من يرى أن طروحات تيار ما بعد الصهيونية لم تتبلور في الأوساط الأكاديمية دفعة واحدة، بل مرّت بعدة مراحل تاريخية، وآخرون يرون أنها ظهرت وتغلغلت بشكل واسع في أحداث مختلفة جملةواحدة.

وعند تحديد ملامح مصطلح (ما بعد الصهيونية) وُجدت فروقات كبيرة عكست تباين الدوافع والمنطلقات ومنظور الحكم، فصنّف الكاتب تعريفات عربية وإسرائيلية لما بعد الصهيونية، وقدّم تعريفًا شاملًا بأنه "تيار فكري إسرائيلي ظهر نتيجة الأزمة الفكرية المستمرة في الصهيونية منذ نشأة الدولة اليهودية حتى الوقت الحاضر، يضمّ مجموعة من المؤرخين الجدد وعلماء الاجتماع الانتقاديين، وبعض الكتّاب في مجالات الفكر والثقافة والفن، ضمن إطار اتجاهات تجديدية وانتقادية وانقلابية

للصهيونية. وتدور طروحاتها الفكرية حول جعل إسرائيل دولة إسرائيلية طبيعية لكل مواطنيها".

كما سعى الكاتب إلى إزالة التشابك والالتباس بين المفاهيم المقاربة لما بعد الصهيونية، ومن هذه المفاهيم:

- مفهوم المؤرخين الجدد وعلماء الاجتماع الانتقادين.
- مفهوم ما بعد اليهودية.
- مفهوم ما بعد الحداثة.
- حركة السلام الآن.

حاول الكتاب تقديم الطروحات الفكرية لما بعد الصهيونية التجديدية والانتقادية والانقلابية من خلال تقسيمها إلى طروحات داخلية وخارجية. تدور مباحث الفصل الثاني حول الطروحات الفكرية الداخلية لما بعد الصهيونية، وقد تناول المؤلف هذه الطروحات من خلال مباحث، هي:

أولًا الدولة والمجتمع: كان رأي تيار ما بعد الصهيونية أنّ ولادة دولة إسرائيل تم بخطيئة سبقتها مسارات، وتضمنت ظلمًا مروعًا للفلسطينيين، وأن الواقع السياسي والاجتماعي لهذه الدولة كان مجرد واقع استعماري تعرض فيه الفلسطينيون أصحاب الأرض الأصليون إلى الإبادة والتطهير العرقي، علاوة على التهجير وخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، لهذا أدرك هذا التيار أنّ دولة إسرائيل يجب أن تكون دولة علمانية ليبرالية تعمل على إبعاد الدين عن الحكم والسياسة، وأن تُصبح دولة مدنية لجميع مواطنيها، بغض النظر عن الدين أو الطائفة أو العرق أو القومية أو اللغة؛ أي يتمتع فيها الجميع بالمساواة التامة، لهذا علّق على العلاقة بين الدولة اليهودية ويهود الشتات، فدعا إلى إلغاء قانون العودة. أما المجتمع الإسرائيلي فاعتبره مجتمعًا استعماريًّا استيطانيًّا تسوده الروح والنزعة العسكريتان، مما أدى إلى بروز الثقافة العسكرية، وأسهم في استمرار الصراع القومي، وأن أوضاع العرب والسفارديم تعكس اضطهاد إسرائيل لهم، وتتحكم في ذلك المجموعة الأوربية (الأشكناز) ذات الأقدمية، أي استمرار هيمنة الأكثرية وتهميش الأقلية.

ثانيًا الهوية والديموقراطية: أشار الكاتب إلى تيار ما بعد الصهيونية يرى أنه باضمحلال البعد القومي لليهودية، وضعف الأيديولوجيا الصهيونية، إضافة إلى تأثير فكرة الاضطهاد (اللاسامية)- سوف يطغى البعد الديني في توصيف اليهودية، وستون نتيجته هيمنة القوى الدينية على الدولة، وفرض نموذجها، وهو نموذج (ما قبل حداثي) انغلاقي غير ديموقراطي، لهذا فهم يؤكدون أن الدولة إما أن تكون ديمقراطية وإما يهودية إثنية. وقد أطلق تيار ما بعد الصهيونية مصطلح (الديموقراطية الإثنية) على النموذج الصهيوني القائم بممارسته السلطة حصريًّا من قبل الأكثرية الإثنية للتأكد من أن حقوق الأقلية تخضع لحقوق الأكثرية، لكنها تظل تعمل ضمن نطاقات السلوك الديمقراطي، وهذا مما لا شك فيه سيؤدي إلى تمييز جماعات متعددة، منهم: أصحاب الأرض (الفلسطينيون) والجماعات المهاجرة (اليهود)، فإن ديمقراطية الأغلبية سوف تُشعر العرب بوصفهم أقلية بالظلم والاضطهاد. وعلى هذا فهم يتبنون نموذجًا مثاليًّا تظهر فيه الهوية الإسرائيلية باعتبارها هوية متناغمة ومنسجمة ومحددة بإطار علماني وليبرالي وديمقراطي، فالهوية الإسرائيلية الجديدة هي هوية علمانية قوامها الفرد

المواطن والمساواة، والديمقراطية القائمة على فكرة تحقيق مبدأ المواطنة.

ثالثًا الهولوكوست: ذكر الكاتب تعريف (الهولوكوست) اصطلاحًا، وكيف أصبحت تُستخدَم حاليًا للإشارة إلى معانٍ شتى. المهمّ أن قضية الهولوكوست تُستعمّل لتسويغ كثير من الأفكار الصهيونية، فهي وظّفت المشاعر العدائية من أجل منع اليهود من الاندماج في الدول التي يعيشون فيها، وأنهم في أمسّ الحاجة إلى وطن خاص بهم بوصفهم لاجئين غير مُرحب بهم، وقوة ذلك هي التي عملت على إقناع العالم بتأييد إنشاء (دولة إسرائيل) عقب الحرب العالمية الثانية، وبناء عليه أقرّ الفكر الصهيوني حقيقة وجود اللاسامية ضد اليهود في كل زمان ومكان، وعمل على توظيف اللاسامية لدفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين، وإقامة الدولة اليهودية، واتضح أن صعود النازيين كان مفيدًا للحركة الصهيونية، وقد أدّى تمركز الاستيطان الصهيوني في فلسطين إلى عدم تحريك اليشوف (الجماعة اليهودية قبل إنشاء الدولة في فلسطين) ساكنًا عند وقوع الهولوكوست، وبدلًا من أن تصبّ كل جهدها في إنقاذ اليهود الأوربيين الذين يهاجمهم النازيون، نظرت إلى دمار اليهود بوصفها فرصة تاريخية لتحقيق الأهداف الصهيونية، وتكثيف موجات الهجرة إلى (أرض إسرائيل).

ثم انتقل المؤلف إلى دراسة الطروحات الفكرية الخارجية لما بعد الصهيونية في الفصل الثالث، حيثُ رصد تيارُ ما بعد الصهيونية الادعاءات في الرؤية الفكرية للصهاينة في العديد من القضايا، ولاسيّما ما يتعلق بالجانبين الفلسطيني والعربي، وقد عرضهما الكتاب بشيء من التفصيل، أمّا الجانب الفلسطيني وما يتعلق بالقضية الفلسطينية فقد درس تيار ما بعد الصهيونية التناقض الأكبر في وعد بلفور في دعمه حق الأقلية، وأقرّ أن فلسطين بلاد مأهولة بالسكان لا أنّها أرض بلا شعب كما صوّرت الصهيونية، فالقضية الفلسطينية لدى الصهيونية مُهمّشة، لذا فرؤية تيار ما بعد الصهيونية تكمن في الاعتراف بالفلسطينيين، وإدماجهم في تاريخ المنطقة، مع إقامة الدولة الفلسطينية تبعًا لمصلحة إسرائيل، وأمّا بخصوص مشكلة اللاجئين فقد رأى الصهاينة أن إسرائيل قامت بعملية تطهير عرقي وطرد جماعي نتيجة عدة أسباب تتعلق بالخسارة العربية لحرب 1948، لذا حمّلت الصهيونيةُ مسؤولية مشكلة اللاجئين البلدان العربية، أما تيار ما بعد الصهيونية فقد حمّل مشكلة اللاجئين إسرائيل، بسبب سياسة الصمت التي اتخذتها مع عدم السماح بعودتهم في وقت لاحق.

وأمّا الجانب العربي فهناك حرب 1948 التي عزا تيار ما بعد الصهيونية قيامها إلى تأسيس الدولة اليهودية وإعلانها من قِبل القادة الصهاينة، وتوصلوا إلى أنّ جاهزية الجيوش العربية وعدد الجنود وكمية العتاد الحربي ومدى التنسيق الإستراتيجي والتكتيكي لم تكن لتُشكل خطرًا كما يزعم الصهاينة في روايتهم، بل تمتعوا بتفوق عسكري مدعوم خارجيًّا في معظم مراحل الحرب، كما اندلعت مجازر كثيرة بحق الفلسطينيين في أثناء الحرب كمذبحة دير ياسين، وهناك قضية السلام التي وجّه بسببها تيار ما بعد الصهيونية التهمة إلى إسرائيل بالتعنت ورفضها السلام مع العرب، ولذلك فإنها تتحمل قدرًا أكبر من المسؤولية عن الجمود السياسي الذي تلا الانتهاء الرسمي للحرب، كما اعتقد أن عملية التطبيع داخل بيئة المجتمع الإسرائيلي ستؤدّي إلى

نهاية الاضطهاد العالمي لليهود، ويُسَمح لهم بالعيش في إطار من الليبرالية والسلام مع العرب.

ويختتم المؤلّف الفصل الرابع بالبحث في الرؤية العربية والإسرائيلية لما بعد الصهيونية، فابتدأ أولًا بالرؤية العربية، وذكر مواقف الباحثين العرب التي اتخذوها إزاء تيار ما بعد الصهيونية والدعوة إلى التطبيع معه، فهناك اتجاه متفائل به، لأنه عرضَ التاريخ الصهيوني للنقد والتعرية، وكشفَ الأكاذيب التاريخية وتزويرها له، وهناك اتجاه موضوعي يرى الكثير من التناقضات في مواقف هذا التيار، وأنه لم يصل إلى حدّ إدانة الصهيونية مع اعترافه بما حدث للعرب على أيدٍ إسرائيلية، كما أن هناك اتجاهًا متشائمًا اختزل موقف هذا التيار في أنه مجرد مؤامرات سياسية يُعدّ مخرجًا للتاريخ الصهيوني، أو لتكون هناك ردة فعل صهيونية تدعو إلى القتل من أجل الكيان، وبغية حماية المشروع الصهيوني، وجعله أكثر مقبولية للمجتمع الدولي، أو أنه مناورات سياسية بين اليمين واليسار داخل إسرائيل.

كما أنّ بعضهم أيّد قيام مدرسة مؤرخين عربية جديدة ورفض آخرون ذلك، فالمؤيد يرى عمل المؤرخين الإسرائيليين الجدد لا يكتمل من دون قيام دراسة موضوعية لا تنطوي على تصورات العرب والفلسطينيين وعواطفهم فحسب؛ بل تُوضح ما يُدين الصهاينة، أما الرافض فيرى أن ذلك محاولة للهروب من الأزمة، إذ ليس ثمة رواية تلتقي فيها روايتا الجلاد والضحية، فهو إمّا تزييف التاريخ، وإمّا مساومات أكاديمية لأهداف سياسية ظرفية.

ثانيًا الرؤية الإسرائيلية التي انقسمت إلى اتجاهين، هما: الاتجاه المتفاعل، ويرى أن هذا التيار إتاحة لمجال فكري جديد يتناول قضايا كانت بمنزلة المُحرمات لوقت طويل، كما أنه كشف بعض الثغرات المهمة في كتابة التاريخ الصهيوني التقليدي، والاتجاه المتجاهل، وهو ينتقد طروحاته باعتبارها تُقوّض المشروع الصهيوني وتُشوهه وتَهُزّ الحقائق.

وبذلك أحدث تيار ما بعد الصهيونية جدلًا إسرائيليًّا حول أطروحاته، وكان له تأثير في الرؤية الإسرائيلية من خلال:

- المجتمع الإسرائيلي
- الجانب التعليمي
- الجانب الثقافي

وفي النهاية، هذا الكتاب بحث موضوعي حاول فيه الكاتب توخّي الدقة والموضوعية، بعيدًا عن الأحكام المُسبقة، وهو يضع القارئ العربي في خضم الفهم المعاصر للفكر السياسي الإسرائيلي وتطوراته واتجاهاته المستقبلية المحتملة.